

فورين بوليسي: ماكرون يخرج عن الصف الغربي بشأن الحرب بين إسرائيل وحماس



نشرت مجلة فورين بوليسي تقريراً للكاتب ميشيل باربيرو تناول فيه الخلاف الذي بدأ في الظهور بين الموقف الفرنسي وموقف الغرب فيما يتعلق بحرب إسرائيل في غزة.

وقال الكاتب إن الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون يوجه أقسى انتقادات من أي زعيم لمجموعة السبع تجاه إسرائيل منذ بداية الصراع ويتحدث بصراحة عن الحاجة إلى العمل نحو وقف ممتد لإطلاق النار في الوقت الذي تشهد فرنسا، موطن أكبر الجاليات اليهودية والمسلمة في أوروبا، انقسامات بسبب الحرب بين إسرائيل وحماس.

إلى جانب المخاوف الإنسانية، ناهيك عن الرغبة في لعب دور أكبر على المسرح العالمي، لدى ماكرون سبب وجيه للرغبة في إنهاء سريع للحرب؛ ذلك أن معاداة السامية وكراهية الإسلام تتزايد في البلاد: فقد شهدت فرنسا أكثر من 1500 عمل أو ملاحظة معادية للسامية منذ اندلاع الصراع، أي ثلاثة أضعاف تلك التي حدثت في العام الماضي بأكمله. واعتقلت السلطات ستمائة شخص على خلفية هذه الأحداث. ويقول زعماء مسلمون إن العداء يختمر ضد مجتمعاتهم أيضاً.

دعوة لوقف إطلاق النار

وقال ماكرون في مقابلة مع بي بي سي الأسبوع الماضي «هذا هو الحل الوحيد الذي لدينا، وقف إطلاق النار، لأنه من المستحيل تفسير أننا نريد محاربة الإرهاب بقتل الأبرياء. هؤلاء الأطفال والسيدات وكبار السن يتعرضون للقصف والقتل». وأضاف «لا يوجد سبب لذلك ولا شرعية، لذلك نحث إسرائيل على التوقف».

ويشير الكاتب إلى أن حلفاء آخرين لإسرائيل، بما في ذلك الولايات المتحدة وبريطانيا، يحاولون كبح جماح إسرائيل وإقناعها بالموافقة على وقف إطلاق النار لأسباب إنسانية. لكن دعوات ماكرون شديدة اللهجة لوقف إطلاق النار، وهو المصطلح الذي يعني وقفاً غير محدد للأعمال العدائية، جعلته إلى حد كبير شخصاً غريباً بين الزعماء الغربيين ولم تمر دون أن يلاحظها أحد، إذ قال رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتانياهو إن ماكرون ارتكب خطأ جسيماً

مادياً وأخلاقياً.

وأشارت المجلة إلى أن الحرب على الجبهة الداخلية لماكرون تحتدم، لافتة إلى تصاعد الأعمال المعادية للإسلام والمعادية للسامية على خلفية تطورات الحرب الجارية.

وتنقل المجلة عن ميشيل ويفوركا، مدير الأبحاث في كلية دراسات العلوم الاجتماعية المتقدمة في باريس، قوله «إذا استمرت الأمور بهذا القدر من القلق في الشرق الأوسط، فسيظل الوضع الداخلي في فرنسا فظيماً كما هو اليوم». وقال إن ماكرون «يسعى للسيطرة على كل هذه الأمور، وهذا ليس بالأمر الهين».

كما تفرض الحرب على ماكرون تحديات سياسية جديدة. وسارعت مارين لوبان، زعيمة حزب التجمع الوطني اليميني المتطرف والمنافس الأكثر إثارة للقلق للرئيس الوسطي، إلى التعبير عن دعمها المطلق للحملة العسكرية الإسرائيلية، وهي خطوة اعتبرها الكثيرون خطوة ناجحة لمزيد من قطع العلاقات مع ماضي حزبها المعادي للسامية. وهي تتصدر حالياً في استطلاعات الرأي.

الخروج عن الصف الغربي

لكن الأمر لا يتعلق فقط بالمشاكل الداخلية، وفقاً للكاتب. ويقول الخبراء إن خروج ماكرون عن صف القوى الغربية الأخرى وانتقاد إسرائيل علناً بسبب عملياتها العسكرية له علاقة أيضاً بتطلع فرنسا منذ فترة طويلة إلى لعب دور أكبر من ثقلها على المسرح العالمي، ورفضها ببساطة الانصياع للخط الذي تمليه الولايات المتحدة. ويعتبر موقف فرنسا من القضية الإسرائيلية الفلسطينية تقليدياً أكثر دقة من دعم أمريكا القاطع لإسرائيل، ولطالما كان «الاستقلالية الاستراتيجية» عن واشنطن أحد مشاريع ماكرون المفضلة.

وقال كريستيان ليكين، أستاذ العلاقات الدولية في جامعة ساينس بو: «كلما اندلعت أزمة، تسعى فرنسا إلى إيجاد دور لنفسها». وقال منذ حقبة الرئيس الفرنسي شارل ديغول في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي، «حتى لو كانت لدينا موارد أقل من القوى العظمى، فإننا نحاول التصرف كما لو كنا لا نزال أحدهم. بالنسبة للفرنسيين، سيكون من المأساة الاعتراف بأنهم لم يعودوا مهمين».

وبعد اندلاع الحرب بين إسرائيل وحماس، انطلق ماكرون في جولة في المنطقة، فقد التقى بقاءة إسرائيل والصفة الغربية والأردن ومصر؛ وأعلنت عن نشر حاملتي طائرات هليكوبتر في شرق البحر المتوسط؛ واستضاف مؤتمراً حول المساعدات الإنسانية للفلسطينيين، وتعهد برفع التبرعات الفرنسية من 20 مليون يورو إلى 100 مليون يورو هذا العام.

وقد يرى كثيرون أن هذا الموقف قد يبدو وكأنه حدث من قبل. في أوائل العام الماضي، عندما كان الغزو الروسي لأوكرانيا يلوح في الأفق، ذهب الرئيس الفرنسي أيضاً إلى أقصى الحدود الدبلوماسية، برحلة حظيت بتغطية إعلامية كبيرة إلى موسكو في محاولة لمنع الهجوم. ثم، بعد أشهر قليلة من الحرب، أثار حفيظة حلفائه عندما أشار إلى أن روسيا لا ينبغي إذلالها، وبدا وكأنه يدفع باتجاه التوصل إلى حل تفاوضي في وقت مبكر للغاية لأوكرانيا.

وعلى الرغم من هذه الجهود الرامية إلى تشكيل دور لنفسها، تواجه فرنسا مراراً التأثير المحدود الذي تتمتع به على الأحداث التي تحاول تشكيلها.

تأثير فرنسي محدود

ويلفت الكاتب إلى أن موقف فرنسا قد يثير غضب القادة الإسرائيليين، ولكنه لا يحمل وزن التمويل الدفاعي الذي تقدمه الولايات المتحدة لإسرائيل كل عام، مع المفاوضات الجارية حالياً في الكونجرس للحصول على حزمة إضافية تصل قيمتها إلى 14 مليار دولار.

وقال جوليان بارنز ديسي، مدير برنامج الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في المجلس الأوروبي للعلاقات الخارجية، إن اللاعبين الخارجيين الرئيسيين هنا هما الولايات المتحدة وإيران، مع وجود باريس في موقف أضعف بكثير.

والسؤال هو ما إذا كانت انتقادات ماكرون الصريحة لسلوك إسرائيل ستؤدي إلى التعجيل بإغلاق نافذة الشرعية التي تمتعت بها الحملة العسكرية على المستوى الدولي.

وماكرون ليس الزعيم الغربي الوحيد الذي يواجه وضعاً صعباً في الداخل بسبب الصراع. ومثل فرنسا، تتعامل الولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا مع

ارتفاع حاد في حوادث معاداة السامية، وفقاً للكاتب الذي أشار للاحتجاجات المتنامية ضد الحرب في الولايات المتحدة وبريطانيا.

ويرى الكاتب أن الرياح المعاكسة تتحرك بالفعل. فقد تجنب إدارة بايدن الضغط من أجل وقف طويل الأمد لإطلاق النار حتى الآن، لكنها أصبحت أكثر صخباً في دعواتها لوقف القتال لتوصيل المساعدات للمدنيين وتسهيل إطلاق سراح مئات الرهائن الذين ما زالوا في أيدي حماس.

وبعد أن بدأ الإسرائيليون باستهداف المستشفى الرئيس في غزة، والذي قالوا إن حماس وضعت تحته أحد مراكز قيادتها، حثهم بايدن على اتخاذ إجراءات أقل تدخلاً هناك.

وفي يوم الأربعاء، أصدر مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة للمرة الأولى منذ بداية الحرب قراراً يدعو إلى هدنة إنسانية عاجلة وممتدة، وذلك بفضل امتناع الولايات المتحدة عن التصويت، من بين دول أخرى.

ومع ذلك، في الوقت الحالي، لا يزال أقوى حليف لإسرائيل كارهاً لتبني لغة مباشرة مثل لغة ماكرون. وقال لوكيسن إن المهم لفرنسا هو أن تكون استباقية. لكن ما إذا كان يمكن تحقيق النتائج هو سؤال مختلف تماماً.